إثبات المكية بالدراسة الأسلوبية في "سورة الإسراء"

محمد حاتم عبد المعطي

ملخص

يتناول هذا البحث بالدراسة الأسلوبية التحليلية آيات سورة الإسراء الكريمة بُغية إثبات مكيتها من خلال تحليلها من الناحية النصية أسلوبًا (موسيقى ومفرداتٍ وصيغًا وعباراتٍ وتراكيبَ)، ومضمونًا (أفكارًا وموضوعاتٍ) عن طريق استقراء خصائصها الأسلوبية، وتتبعها، ورصدها، وتحليلها، ومقارنتها، بالخصائص الأسلوبية لنصوص الوحي المدني والمكي، تمهيداً للوصول إلى حسم مكية أو مدنية الآيات المختلف حولها في هذه السورة المكية والتي بلغت إحدى عشرة آية، وهو ما يعد أمراً كامل الجدة في تحديد مكية ومدنية الآيات القرآنية. وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتضمن ثلاثة مطالب، هي:

- المطلب الأول: إثبات المكية بالتحليل الأسلوبي لسورة الإسراء الكريمة.
- المطلب الثاني: إثبات المكية بالتحليل المضموني لسورة الإسراء الكريمة.
- المطلب الثالث: التحليل الأسلوبي والمضموني للآيات المدنية في سورة الإسراء الكريمة.

وقد خَلُصَ الباحث إلى جملةٍ من النتائج الدقيقة التي تذهب باتجاه إثبات مكية جميع آيات سورة الإسراء الكريمة فيما عدا آية واحدة.

-Proof of Meccan Origin: A Stylistic Study in the "Al

" Isra" Sura

Mohammed Hatem Abdel Muti

Abstract

This research deals with the study stylistic analytical verses of Surah al-Isra stones in order to prove Macaitha through the analysis of the text the way (music and words and formulas and phrases and combinations), and content (ideas and themes) by extrapolating their characteristics stylistic, followed and monitored, analyzed and compared, characteristics stylistic texts civil revelation in Mecca, as a prelude to reach Makiya resolve or civil different verses around in these Meccan sura, which amounted to eleven verse, which is something the entire grandmother in determining Makiya and civilian Quranic verses. The nature of the search warrant that includes three demands, namely:

−First requirement: Proof Meccan stylistic analysis of Surah al-Isra stones.

−Second requirement: Proof Meccan substantive analysis of Surah al-Isra stones.

−Third requirement: stylistic analysis and substantive Civil verses in Surah al-Isra stones.

The researcher has concluded a number of exact results that go toward proving Makiya all the verses of Surah al-Isra generous with the exception of a single verse.

تمهيـــــــــــــد:

اتفق المفسرون وعلماء علوم القرآن الكريم على مكية سورة الإسراء الكريمة عموما باستثناء بعض الآيات، واختلفوا بعد ذلك في هذه الآيات المدنية فهي عند الإمام القرطبي[1] أربع آيات وهي، الآيات: (60، 76، 80، 107)، وعند الإمام الشوكاني[2] أربع آيات أيضاً هي: (60، 73، 80، 107)، وعند الإمامين ابن عطية الأندلسي[3] وأبي حيان[4] خمس آيات هي: (60، 73، 76، 80، 107)، كذلك فهي عند الإمامين الفخر الرازي[5] وعمر بن علي بن عادل الدمشقي[6] خمس آيات لكنها تختلف عن سابقَيْهما وهي: (76، 77، 78، 79، 80).

وأما الإمام الزمخشري[7] فأوصلها إلى إحدى عشرة آية وهي بالإضافة للخمس المتقدمة الآيات (26، 32، 33، 73، 74، 75)، في حين أن الطاهر ابن عاشور قد أورد عددا من هذه الوجوه[8].

كما يقطع آخرون بمكية هذه السورة مكتفين بالاستدلال بطبيعة الموضوعات العقدية في السورة، والقصص التي تضمنتها من مثل: قصص بني إسرائيل، والمسجد الأقصى، وقصة آدم وإبليس[9]، من غير ما محاولة –رحمهم الله– منهم لاستقراء تلك النصوص وتتبعها ورصدها ومقارنتها بالنصوص المدنية كما سيفعل الباحث إن شاء الله.

وسيُفصلُ القول حول إثبات مكية هذه السورة من خلال تحليلها من الناحية النصية أسلوبا (مفرداتٍ وصيغًا وعباراتٍ وتراكيبَ) في المطلب الأول، ومضمونا (أفكارًا وموضوعات) في المطلب الثاني، ثم يبسط القول في تحليل الآيات التي نصّ المفسرون على مدنيتها أسلوبًا ومضمونًا في المطلب الثالث[10].

- **المطلب الأول: إثبات المكية بالتحليل الأسلوبي لسورة "الإسراء".**

[11] في مجال الأسلوب يبدأ الباحث بالنظر في فواصل هذه السورة الكريمة ومنها فاصلة الراء المفتوحة المسبوقة بألف، وقد جاءت في الآية الثانية والثمانين من هذه السورة في قوله تعالى: "وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً" (الإسراء: 82).

وهذه الفاصلة لم ترد في أية سورة مدنية على الإطلاق، في حين أنها ترددت في الوحي المكي اثنتا عشرة مرة، عشرا في سورة نوح وهي: "نهارا"، "فرارا"، "استكبارا"، "جهارا"، "إسرارا"، "غفارا"، "مدرارا"، "أنهارا"، "وقارا"، "أطوارا" (نوح: 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14)، ومرة واحدة في فاطر وهي "خسارا" (فاطر: 39)، وأخرى في الواقعة وهي "أبكارا" (الواقعة: 36).

ومن فواصل هذه السورة المجيدة أيضا تلك الفاصلة المنتهية بعين مفتوحة مسبوقة بواو المد الواردة في كلمة "ينبوعا" من قوله تعالى في الآية التسعين: "وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنْ الأَرْضِ يَنْبُوعاً" (الإسراء: 90)، والواردة أيضاً في كلمة "خشوعا" من قوله تعالى في الآية التاسعة بعد المائة: "وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً" (الإسراء: 109).

حيث وردت –خارج الإسراء– ثلاث مرات كلها من مكي الوحي في سورة المعارج المكية وهي قوله تعالى: "إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (*) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (*) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً(*) (المعارج: 19،20،21)، وعبثا تبحث في الوحي المدني عن مثل هذه الفاصلة العينية المفتوحة المسبوقة بضمة ممدودة.

ومما انفردت به هذه السورة من فواصل فاصلة القاف المفتوحة المسبوقة بواو المد في كلمة "زهوقا" الواردة في الآية الواحدة و الثمانين في قوله تعالى: "وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً".

وهي الفاصلة الوحيدة في القرآن الكريم، إلا أنّ الملاحظ أن الوحي المدني لم ترد فيه فاصلة القاف على أي وضع ، بخلاف آيات الوحي المكي الذي وردت فيه فاصلة القاف – وإن كانت – بغير وضع فاصلة الإسراء.

كفاصلة القاف الواردة في سورة ص "شقاق، اختلاق، فواق، الإشراق، الأعناق، غساق" (ص: 2، 7، 15، 18، 33، 57)، وكالواردة في سورة الطارق "الطارق، خُلِق، دافِقْ"(الطارق: 1، 2، 5، 6)، أو في غافر "التلاق، واق" (غافر: 15 ، 21)، أو في القيامة "التراقي، راق، الفراق، الساق، المساق" (القيامة: 26، 27، 28، 29، 30)، أو في النبأ "غساقا، وفاقا" (النبأ: 25، 26).

أما بالنسبة للمفردات والألفاظ ففي هذه السورة طائفة كبيرة من الألفاظ التي لم ترد إلا في الوحي المكي؛ ما يعضد مكية السورة عموماً، ومن ذلك مثلا كلمة "عُلُوّاً" التي وردت في غير الإسراء مرتين في موضعين من آيات الوحي المكي وهما قوله تعالى: "وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ" (النمل: 14)، وقوله تعالى: "تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" (القصص: 83).

ومن المفردات التي وردت في السورة الكريمة كلمة "خزائن" التي لم ترد في الوحي المدني إلا مرة واحدة هي قوله تعالى: "هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ" (المنافقون: 7). بينما وردت في الوحي المكي خارج الإسراء ست مرات وهاك نصوصها:

قوله تعالى: "قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ" (الأنعام: 50).

وقوله تعالى: "وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمْ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنْ الظَّالِمِينَ" (هود: 31).

وقوله تعالى: "قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ" (يوسف: 55).

وقوله تعالى: "وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ" (الحجر: 21.)

وقوله تعالى: "أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ" (ص: 9).
وقوله تعالى: "أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ" (الطور: 37).

ويُلاحظ على هذه النصوص أنَّ الموضع المدني الوحيد الذي وردت فيه كلمة "الخزائن" في سورة المنافقون، وردت فيه مضافةً إلى السماوات والأرض معاً، وهذا مغاير لإضافتها في الآيات المكية الست كلها، حيث وردت مضافة فيها إما لله أو للأرض وحدها أو لرحمته سبحانه وتعالى.

ليس هذا وحسب، بل إنه لا يوجد في الوحي المدني أية لفظة مشتقة من هذه المادة (خزن) باستثناء آية سورة المنافقون المتقدمة، على حين أنها وردت في الوحي المكي مرة بصيغة اسم الفاعل المجموعة "خازنين" (الحجر:22)، وأخرى بصيغة جمع التكسير غير مضافة "خزنة" (غافر: 49)، وثلاث مرات بصيغة جمع التكسير المضافة "خزنتها" (الزمر: 71، 73، والملك : 8).

ومن المفردات التي لا تعرفها آيات الوحي المدني الواردة في السورة الكريمة كلمة "القرون" بينما وردت خارج الإسراء اثنتي عشرة مرة كلها في القرآن المكي[12]: تسعا مُحَلاَّةً بأل[13] وثلاثا نكرة بلا أل "قرونا"[14].

ومن المفردات التي تَمَيَّزَ بها مكي الوحي عموماً، وتعضد مكية الإسراء؛ لورودها فيها كلمة "يَقْدِر" إذْ وردت في النصوص المكية – غير الإسراء– إحدى عشرة مرة ، وها هي ذي نصوصها على الترتيب:

قوله تعالى: "اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ" (الرعد: 26).

وقوله تعالى: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ" (النحل: 75).

وقوله تعالى: "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُّ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (النحل: 76).

وقوله تعالى: "وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ" (القصص: 82).

وقوله تعالى: "اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" (العنكبوت: 62).

وقوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (الروم: 37).

وقوله تعالى: "قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ" (سبأ: 36).

وقوله تعالى: "قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" (سبأ: 39).

وقوله تعالى: "أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (الزمر: 52).

وقوله تعالى: "لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" (الشورى: 12)، وقوله تعالى: "أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ" (البلد: 5).

ومنها كلمة "تحويلا" التي لم تأت خارج سورة الإسراء إلا في سورة غافر المكية، وذلك في قوله تعالى: "اسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً"(فاطر: 43)؛ ما يثبت مكية هذه السورة الكريمة.

وكذلك كلمة "القسطاس" التي وردت فقط في سورة الشعراء المكية غير الإسراء ، وهي قوله تعالى: "وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ"(الشعراء: 182).

وكذلك أيضاً لفظة "قَرَأْتَ" التي لم ترد في غير الإسراء إلا في سورة مكية واحدة هي سورة النحل، في قوله تعالى: "فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" (النحل: 98).

وفي نفس المادة نجد صيغة الأمر "اقرأ" واردةً مرتين في آيتين من سورة مكية غير الإسراء ألا وهي سورة العلق الكريمة ، في قوله جل من قائل: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" و قوله: "اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ" (العلق: 1، 3).

ومن الألفاظ المميزة لمكي الوحي عن مدنيه لفظة "أقصى" التي وردت مرتين – غير الواردة في الإسراء– في نصين مكيين هما: قوله تعالى: "وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنْ النَّاصِحِينَ" (القصص: 20)، وقوله تعالى: "وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ" (يس: 20)، ما يثبت بلا أدنى شك مكية سورة الإسراء الكريمة.

ومنها أيضا لفظة "حاصبا" التي انفردت بها آيات القرآن المكي في ثلاثة مواضع غير موضع الإسراء، هي:

قوله تعالى: "فَكُلاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذْتُهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (العنكبوت: 40).

وقوله تعالى: "إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ" (القمر: 34).

وقوله تعالى: "أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ" (الملك: 17).

ونختم دراسة الألفاظ المؤكدة لمكية سورتنا الكريمة ببعض الألفاظ التي انفردت بها هذه السورة المباركة عن غيرها من السور المكية، والسور المدنية على السواء؛ والتي ستحسب من الآن من مميزات ألفاظ الوحي المكي أيضاً.

فمثلا كلمة "حصيرا" و "محسورا" و "أحتنكنّ" و "قاصفا" و "زهوقا" و "خَبَتْ"[15]، وكذلك كلمة "يخرون" الواردة في الآية التاسعة بعد المائة، وهي قوله تعالى: "وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً" (الإسراء: 109) على أن اللافت في مادة هذه اللفظة (خَرّ) هو ورودها في عدة مواضع من نصوص الوحي المكي، وعبثا تحاول إيجاد أيّ صيغة لها في أيٍّ من آيات الوحي المدني على الإطلاق.

فقد عثرت لهذه المادة على عشرة مواضع في أربع صيغ كلها من مكي الوحي وهي: صيغة الماضي المجرد غير المسند لأي ضمير (خرَّ) خمس مرات[16]، وثلاث بصيغة الماضي المسند لواو الجماعة (خرُّوا)[17]، وواحدة بصيغة المضارع المسند لضمير الغائب المستتر (تخِرُّ) (مريم: 90)، وواحدة أخرى بصيغة المضارع المسند لواو الجماعة (يخروا) (الفرقان : 73)، غير صيغة الأفعال الخمسة (يخِرُّون) الواردة في آيتي الإسراء المذكورتين آنفاً.

هذا عن الألفاظ وهي كما قدمنا كثيرة، أما إذا انتقلنا إلى الصيغ والعبارات والتراكيب المميزة لمكية الإسراء فسنجدها أقل من طوائف الألفاظ، فبالإضافة للصيغ التي تحدثنا عنها نضيف على سبيل المثال:

صيغة النهي بالفعل المضارع "تَقْرَب" المسند لواو الجماعة والمسبوق بلا الطلبية التي للنهي(لا تقربوا) فهذه الصيغة لم ترد في أي من نصوص الوحي المدني اللهم إلا مرة واحدة في سورة النساء، وهي قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً" (النساء: 43).

ومن هذه الصيغ اللافتة للنظر إلى الأسلوب المكي في سورتنا هذه صيغة المصدر من الثلاثي خَلَقَ الموصوف بالجدة "خلقاً جديداً" التي لم ترد إلا في الوحي المكي، حيث وردت في الإسراء مرتين – منصوبة – بنفس اللفظ تقريبا في الآيتين التاسعة والأربعين، وهي قوله تعالى: "وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً" (الإسراء: 49). وفي الآية الثامنة والتسعين، وهي قوله تعالى: "ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً" (الإسراء: 98).

كما وردت فيه ست مرات – مجرورة – "خلقٍ جديدٍ"، في حين خلت منها نصوص الوحي المدني مطلقا، وها هي ذي نصوص المكي:

قوله تعالى: "وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (الرعد : 5).

وقوله تعالى: "أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ" (إبراهيم : 19).

وقوله تعالى: " وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ" (السجدة : 10).

وقوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ" (سبأ: 7).

وقوله تعالى: "إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ" (فاطر: 16)، وقوله تعالى: "أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ" (ق: 15).

كذلك عبارة "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" الواردة في الآية الثالثة والأربعين من سورتنا الكريمة، وهي في قوله تعالى: "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً (الإسراء: 43)، فلم تعرفها نصوص الوحي المدني قطُّ ، على غرار الوحي المكي الذي وردت فيه خمس مرات هي:

قوله تعالى: "وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ" (الأنعام: 100).

وقوله تعالى : "وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" (يونس: 18).

وقوله تعالى: "أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" (النحل: 1).

وقوله تعالى: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" (الروم: 40).

وقوله تعالى: "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" (الزمر: 67).

ومن عبارات أسلوب الوحي المكي المميزة له عبارة "يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ" الواردة في الآية الثلاثين من سورتنا الكريمة في قوله تعالى: "إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً" (الإسراء: 30)، والتي خلا منها الوحي المدني تمامًا، بينما ترددت في الوحي المكي ثماني مرات غير الإسراء، وهذا مما ترتاح له النفس من اليقين القاطع بمكية هذه السورة ، والنصوص المكية على الترتيب، هي:

قوله تعالى: "اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ" (الرعد: 26).

وقوله تعالى: "وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ" (القصص: 82).

وقوله تعالى: "اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" (العنكبوت: 62).

وقوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (الروم: 37).

وقوله تعالى: "قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ" (سبأ: 36).

وقوله تعالى: "قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" (سبأ: 39).

وقوله تعالى: "أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (الزمر: 52).

وقوله تعالى: "لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" (الشورى: 12).

كذلك فإن اسمي الله تعالى السميع والبصير لم يقترنا في القرآن المدني إلا مرة واحدة فقط هي قوله تعالى في مطلع سورة المجادلة: "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ" (المجادلة: 1)، والملاحظ أنهما جاءا نكرتين.

بينما اقترنا في الوحي المكي ستَّ مرات ثلاثاً بأل – غير الإسراء – وهي :

قوله تعالى: "وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" (غافر :20).

وقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" (غافر : 56).

وقوله تعالى: "فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنْ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" (الشورى : 11).

وثلاثا كآية المجادلة المدنية بلا أل، وهي: قوله تعالى: "ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ" (الحج : 61).

وقوله تعالى: "اللَّهُ يَصْطَفِي مِنْ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ" (الحج : 75).

وقوله تعالى: "مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ" (لقمان : 28).

ونختم طائفة الصيغ المكية الواردة في الإسراء بصيغة "كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ" الواردة في الآية السادسة والتسعين من السورة في قوله تعالى: "قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً"(الإسراء: 96) وعلى غرار القرآن المدني الذي لم ترد فيه هذه الصيغة على الإطلاق فقد ترددت في سور القرآن المكي أربع مرات، ثلاثا بنفس الصيغة (فاعل كفى بارز وهو اللفظ الجليل)، وهي:

قوله تعالى: "فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ" (يونس: 29).

وقوله تعالى: "وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ" (الرعد: 43).

وقوله تعالى: "قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ" (العنكبوت: 52).

وواحدة بتحوير طفيف (بفاعل كفى مضمراً) وهي قوله تعالى: "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنْ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" (الأحقاف: 8).

وأما الوحي المدني فوردت فيه صيغ من مثل:

قوله تعالى: "وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً" (النساء: 6، الأحزاب: 39).

وقوله تعالى: "وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً" (النساء: 45 ، 70).

وقوله تعالى: "وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً" (النساء: 79 ، 166، الفتح : 28).

وقوله تعالى: "وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً" (النساء : 81 ، 132 ، 171 ، والأحزاب : 3 ، 48).

وتكملة لدراسة الجانب الأسلوبي مستدلين به على المكية من عدمها في هذه السورة، يُحِبُّ الباحث أن يُعرج هنا على بعض التراكيب الأسلوبية الفارقة لأسلوب الوحي المكي عن المدني من خلال بعض تراكيب السورة التي بين أيدينا، مكتفيا بما قدمه من صيغ، وعلى سبيل التمثيل فإن التركيب الاستفهامي الشرطي المكون من (همزة الاستفهام + إذا الشرطية + جملة الشرط + همزة استفهام + جملة الجواب المكونة من "إن واسمها ناء الفاعلين المدغم فيها" + اللام المزحلقة في خبر إن + جملة خبر إنّ" والذي جاء في موضعين من سورة الإسراء الكريمة، هما:

قوله تعالى: "وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً" (الإسراء: 49) ، وقوله تعالى: "ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً"(الإسراء: 98).

هو تركيب لا تعرفه نصوص الوحي المدني البتّة ، وقد ورد في القرآن الكريم في سبعة مواضع –غير الإسراء– كلها تنتمي للمكي منه، وهي على الترتيب:

قوله تعالى: "وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (الرعد: 5).

وقوله تعالى: "قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ" (المؤمنون: 82).

وقوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ" (النمل: 67).

وقوله تعالى: "وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ" (السجدة: 10).

وقوله تعالى: "أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ" (الصافات: 16).

وقوله تعالى: "أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُونَ" (الصافات: 53).

وقوله تعالى: "وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ" (الواقعة: 47).

وهذه النصوص كما نرى تبرز عناد الكفار وتَبَجُحَهُم في كل الأزمنة والدهور، كما تثبت أن ملة الكفر واحدة، إذ التقت ألسنتهم –على اختلاف مشاربهم وعصورهم– على كلمة واحدة هي كلمة الاستعلاء عن الإيقان بمنهج الحق وشِرْعَتِه، والاستبعاد لوعيده وبعثه، فأوجب كل ذلك تقريعهم بطريق الإنكار التكذيبي في الاستفهام؛ لأن ما قالوه محضُ كذبٍ لا أكثر، وتُرَّهَات لا أقل.

وكذلك فإن مؤدَّى هذا التركيب الاستفهامي الشرطي هنا يلتقي مع سياق مناقشة قضية البعث والنشور وتقريرها والتي تعتبر من أخص خصائص الوحي المكي وضوابطه المعنوية، على عكس الوحي المدني الذي ترك هذا المجال المعنوي، ليناقش قضايا المعاملات التفصيلية، ويتعرض لمناقشة قضايا المنافقين كذلك.

ومن هذه التراكيب التي انفردت به السور المكية عموما قوله: "أَوَلَمْ يَرَوْا" الوارد في الآية التاسعة والتسعين من سورة الإسراء، في قوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُوراً " (الإسراء: 99)، والمكون كما نرى من (الهمزة الاستفهامية + حرف العطف "واو أو استبداله بالفاء أو حذفها" + لم + الفعل المضارع "يرى" المسند لواو الجماعة "يروا") قد تردد في الوحي المكي في سبعة عشر موضعا، بينما خلت جميع نصوص الوحي المدني منه على الإطلاق، والنصوص المكية هي:

قوله تعالى: "أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ" (الأنعام: 6).

وقوله تعالى: "وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ" (الأعراف: 148).

وقوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ" (الرعد: 41).

قوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنْ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ" (النحل: 48).

قوله تعالى: "أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (النحل: 79).

قوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ" (الشعراء : 7). وقوله تعالى: "أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (النمل: 86).

قوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ" (العنكبوت: 19).

وقوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ" (العنكبوت: 67). وقوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا

أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (الروم : 37).

وقوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ" (السجدة: 27).

وقوله تعالى: "أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمْ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنْ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ" (سبأ : 9).

وقوله تعالى: "أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ" (يس: 31).

وقوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ" (يس: 71).

وقوله تعالى: "فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ" (فصلت: 15).

وقوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (الأحقاف: 33).

وقوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ" (الملك: 19).

إن هذه الآيات لتَلْفِتُ النظر لسرٍّ من أسرار تكرار هذا التركيب في الآيات المكية، فباستقراء هذه الآيات نجدها تتركز في محورين، الأول منهما: هو محور إهلاك الأمم الماضية من المكذبين المبارزين لله بكفران نعمه وجحد فضله، كما دلت عليه آيات الأنعام والأعراف وسبأ وفصلت والأولى من يس.

ومعلوم أن هذا المحور مناسب للحالة النفسية للمجتمع القُرَشيَّ قبل الهجرة؛ إذ من شأنه أن يُرغبهم في الدعوة الإسلامية –سيما أنهم في البداية – كما يطمئنهم إلى سر هداية الناجين من غابر الأمم، كما يخوفهم في الوقت ذاته من مغبة الهلاك الذي لحق بمَنْ كذب من أسلافهم الغابرين.

وأما المحور الثاني فهو محور الآيات الكونية الدالة على عظيم قدرته تعالى كإنقاص الأرض وتفيُّؤ الظلال، وإمساك الطير في جو السماء، وإنبات الأزواج وغيرها، كما دلت عليه آيات الرعد والنحل والشعراء والنمل والعنكبوت والسجدة وسبأ والثانية من يس والملك. كما أنَّ هذا المحور يلتقي مع الأول في ذات الهدف من تحفيز العِباد للتفكر في آيات الله تمهيدًا لخشيته والإيمان به.

المطلب الثاني: إثبات المكية بالتحليل المضموني لسورة "الإسراء".

فإذا انتقلنا إلى الأفكار والموضوعات فإننا نلاحظ أن فكرة "تنزيل القرآن شفاء للمؤمنين ورحمة لهم" الواردة في الآية الثانية والثمانين من السورة في قوله تعالى: " وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً" (الإسراء: 82) لم ترد إلا في القرآن المكي.

ومن ذلك قوله تعالى: "وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ" (فصلت: 44).

وقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ" (يونس:57).

وبالمثل ففكرة "إبصار النهار وإجلائه للأشياء" الواردة في قوله تعالى: "اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ" (الإسراء:61). لا وجود لها البتة في الوحي المدني ، بينما ورد في مكي الوحي غير مرة منها، قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ" (يونس : 67)، وقوله تعالى: "وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا" (الشمس:3)، وقوله أيضا: "وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى" (الليل:2).

وكذلك فكرة استعجال الكفار (سواء كفار الأمم السابقة أو كفار العرب أعداء الرسول عليه الصلاة والسلام) للعذاب الذي توعدهم الله سبحانه به قد ترددت غير قليل في القرآن الذي نزل بمكة[18]، ومنه ما ورد في سورتنا هذه من استعجال كفار مكة لعذاب الله عنادا وتحدياً ومماراةً واستكباراً من عند أنفسهم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولما أنزل به حيث يقول سبحانه: " "أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً"(الإسراء:93). أما الوحي النازل في المدينة فقد خلت منه هذه الفكرة ومن المواضع التي ورد فيها استعجال الكافرين لما توعدهم الله على لسان رسله عليهم السلام من عذاب:

قوله تعالى: "بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ" (الأحقاف:24).

وقوله تعالى: "مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ" (الأنعام:57).

وقوله تعالى: "قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ" (النمل:46).

وقوله تعالى: "قل عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ" (النمل:72).

وقوله تعالى: "وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءهُمُ الْعَذَابُ" (العنكبوت:53).

وقوله تعالى: "يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ" (العنكبوت:54).

ومثله قصر ماهية النبي محمد والرسل أجمعين على البشرية الوارد في قوله تعالى: "أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُه قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً" (الإسراء: 93). فهو مما لا وجود له في المدني، عدا الإشارة لبشرية نبي الله عيسى عليه السلام فقط؛ تكذيبا لمن ادعى عبادته عليه السلام الواردة في سورة آل عمران المدنية في قوله تعالى: "مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ" (آل عمران : 79).

أما الوحي المكي فقد ترددت فيه هذه الفكرة في مواضع متعددة ، منها:

قوله تعالى على لسان المكذبين من قوم نوح عليه السلام: "فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ" (هود : 27).

وقوله تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام لقومه: "قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ" (إبراهيم: 10)، وقوله تعالى على لسان الرسل أنفسهم: " قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ" (إبراهيم: 11).

وقوله تعالى: "قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً" (الكهف: 110).

وقوله تعالى: "فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ" (المؤمنون: 47).

وقوله تعالى : "وَمَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنْ الْكَاذِبِينَ" (الشعراء: 186).

ومما يحكم لهذه السورة بالمكية أيضاً أن فيها سجدة، في الآية السابعة بعد المائة، وهي قوله تعالى: "قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً" (الإسراء: 107) وقد قال العلماء الذين عنوا باستنباط بعض العلامات التي تساعد في الحكم على سورة ما بالمكية أو المدينة: إن كل السور التي وردت فيها سجدة هي سورة تنتمي إلى الوحي المكي[19]، والسجدة في هذه السورة هي عقيب قوله تعالى: "وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً" (الإسراء : 109).

وكذلك تطالِعُنا كتب علوم القرآن الكريم بأبرز خصائص الوحي المكي الموضوعية والملخصة في أن كل سورة تحتوي قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى سورة البقرة، وكذلك السور التي تدعو إلى التوحيد، أو تتضمن إثباتا للبعث والنشور والمعاد والجزاء الذي كثر حوله الجدل الجاهلي، وكذلك شأن كل السور التي تتحدث عن قصص الأنبياء والأمم الغابرة فهي من الوحي المكيّ، أو تعرضت للحديث عن بعض آيات الله المبثوثة في صفحات الكون، وجميع هذا موجود في سورتنا التي بين أيدينا.

فأما قصة آدم عليه السلام، وسجود الملائكة تكريما له، ومحاولات إغواء الشيطان له، فقد وردت هذه القصة في سورتنا الكريمة في قوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً" حتى قوله : "وَمَا يَعِدُهُمْ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً"، (الإسراء، 61–64). ومن المعلوم أن من ضوابط السور المكية اشتمالها على قصة سيدنا آدم على اختلاف الوجه الذي ترد عليه فيما عدا سورة البقرة[20].

وأما الدعوة للتوحيد فتتمثل في بداية السورة حيث بدأت بأصل من أصول التوحيد والعقيدة وهو الإيمان بالأسماء والصفات الذي يشمله تنزيه الله تعالى وتحميده وهو من سمات سور الوحي المكي وخصائصها، حيث تكرر هذا التنزيه والتسبيح في ثنايا السورة ففي المطلع تستفتح به، وعند التعرض لمزاعم المشركين بوجود آلهة مع الله سبحانه يعقب بقوله: "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً (*) تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً (الإسراء:43-44)، كما يرد التسبيح أيضا عند حكاية الذين أوتوا العلم من قبل القرآن حين تُتلى عليهم آياته "وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً" (الإسراء: 108).

وأما قصة إرسال سيدنا موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل، وكيف واجهه فرعون بالاستكبار بعد أن أراه البصائر من ربه فكان مصيره الغرق والهلاك، فتضمنتها السورة في قوله تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً" إلى قوله: "وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً" (الإسراء: 101-104) وهي من قصص الأنبياء والأمم الغابرة التي تعد من ميزات سور الوحي المكي عموما.

وأما تعرضها لمناقشة أهل الشرك في بيان فساد اعتقادهم، وبيان جدلهم العقيم الذي هو من أجل الجدل لا أقل ومن أجل العناد لا أكثر- وهذا من خصائص الوحي المكي الموضوعية- ، فقد طلبوا معجزات باهرة لا يستطيعها النبي في محاولة منهم لإسكاته صلى الله عليه وسلم " وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنْ الأَرْضِ يَنْبُوعاً (*) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً (*) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (*) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُه قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً﴾ (الإسراء،90-93)، إلا أن القرآن في هذه السورة أفحمهم بأن النبي مبلغ عن ربه لا أكثر ومبشر ومنذر لهم لا أقل، وأن ما طلبوه بيد الله الذي لو شاء أنزله عليهم ثم لأخذهم بالكفر به أخذا أليماً شديداً.

كما تحدثت السورة عن بعض الآيات الكونية الدالة على عظيم قدرة الله تعالى، وعن النظام الدقيق الذي يحكم الليل والنهار، ويسير وفق ناموس ثابت لا يتبدل، وما يعود به على العباد من منافع ومصالح، في قوله تعالى :﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ (الإسراء،12) كدليل على تفرده تعالى بالألوهية، وتفرده كذلك بتدبير شئون الخلق.

وأيضاً تعرضت آيات سورتنا الكريمة للحديث عن البعث والنشور والمعاد والجزاء الذي كثُرَ حوله الجدل الجاهلي، فأقامت الأدلة والبراهين على إمكانه، واستمر ذلك من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً

جَدِيداً﴾ (الإسراء، 49) حتى قوله تعالى: "يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً" (الإسراء:52).

كما أنها تطرقت لعرض ألوان من جرائم المشركين من سفك للدماء، ووأد للبنات، وأكل أموال اليتامى ظلما، وبعض عاداتهم الخلقية الفاسدة، وغني عن القول أن هذه من أبرز العادات السيئة التي كانت سائدة في البيئة الجاهلية قبل الإسلام ما يشهد بمكية السورة الكريمة موضوعيّاً.

ومن القضايا الموضوعية التي يمكن الاستناد إليها في الحكم بمكية السورة أنها لم تحتو على أي من الموضوعات المتعلقة بالمدينة، سواء من جهة الأحداث التي كانت تلك البلدة مسرحا لها أو لها دخل فيها أو الغزوات التي اشتعلت منذ مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها أو الطوائف التي كانت تقطنها ولم تكن تعرفها مكة، وهي طوائف المسلمين الأنصار والمنافقين واليهود، بل كل الموضوعات التي تعالجها هذه السورة هي من موضوعات ما قبل الهجرة، من كفر الكافرين برسالة النبي عليه الصلاة والسلام وإنكارهم للبعث وطلبهم المعجزات منه صلى الله عليه وسلم إلى آخر الموضوعات التي ذكرناها آنفاً.

ومن الواضح أن هذه الموضوعات هي موضوعات موجهة إلى قوم لم يؤمنوا بعدُ برسالة الإسلام، بل كانوا لا يزالون يعارضونها ويكذبونها ويتعنتون مع النبي عليه السلام بشأنها ولا يمكن أن يكون هؤلاء القوم إلا مشركي مكة.

أما في المدنية فقد كان الوضع مختلفا فلقد كانت القاعدة العامة هناك من المؤمنين المتفانين في محبة النبي عليه السلام ورسالته، والذين تجاوزوا الحاجة إلى إقناعهم بصفات المولى سبحانه أو بوجود حياة أخرى بعد الموت، إلى طور آخر هو طور التشريع لحياتهم الجديدة.

والآن بعد كل هذا التحليل الأسلوبي (موسيقى وألفاظاً وعباراتٍ وتراكيبَ) والتحليل المضموني للسورة يخلص الباحث إلى أنها لا يمكن أن تكون إلا مكية، وإن كان هذا لا يمنع من ناحية المبدأ على الأقل، أن تكون هذه الآية منها أو تلك قد تأخر نزولها إلى مرحلة ما بعد الهجرة ثم وضعت في موضعها من السورة. والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم.

- **المطلب الثالث: التحليل الأسلوبي والمضموني للآيات المدنية في سورة "الإسراء".**

وفي خطوة يعتقد الباحث بأنها جديدة يحاول في هذه الفقرة من هذا البحث أن يفصل القول على الأقل بترجيح مكية أو مدنية الآيات المختلف عليها، بناء على ما تم استخلاصه أو استقرائه من سمات أسلوبية أو مضمونية لآيات الوحي المكي والمدني. وهي ثلاث عشرة آية(26،32، 33، 60، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 107)، مع محاولة اتّكاء الباحث على ما تيسر من أسباب نزول بعض هذه الآيات فيما يفيد في الترجيح إلى المكي أو إلى المدني.

ونبدأ بالآية السابعة بعد المائة وهي قوله تعالى: "قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً" فقد نقل الإمام القرطبي[21] وأبو حيان[22] وابن عطية الأندلسي[23] والشوكاني[24] عن مقاتل أنها مدنية، كلهم يورد مدنيتها عنه بلفظ "وزاد مقاتل قوله... الآية" دون تعليل لهذه الزيادة أو حتى دون أدنى تعليق منهم –يرحمهم الله– على أن الباحث يذهب إلى مكية هذه الآية؛ استناداً إلى احتوائها على سجدة؛ ولما قرره علماء علوم القرآن الكريم من أن كل السور التي وردت فيها سجدة هي سورة تنتمي إلى الوحي المكي[25]، والسجدة في هذه السورة هي عقيب قوله تعالى: "وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً" (الإسراء : 109)، وكذلك فإنه لم يُعْهَدْ مطلقا على أي من سور القرآن المدنيّ اشتمالها على سجدة، ما يعضد رأي الباحث بمكيتها.

وكذلك مما يعضد مكية هذه الآية بالتحديد اشتمالها على لفظة انفردت بها نصوص الوحي المكي دون المدني وهي لفظة "يخرون" فلم ترد هذه اللفظة على الإطلاق بأي صيغة في أي من نصوص الوحي المدنيّ، بينما وردت مادة (خَرَّ) عشر مرات –غير الإسراء– في تسع سور تنتمي كلها لمكي الوحي، بصيغ فعليةٍ متعددة، كصيغة خَرَّ المجردة خمس مرات وهي:

قوله تعالى: "وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ" (الأعراف: 143).

وقوله تعالى: "قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ" (النحل: 26).

وقوله تعالى: "حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ" (الحج: 31).

وقوله تعالى: "فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ" (سبأ: 14).

وقوله تعالى: "قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنْ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ" (ص: 24).

وثلاث مرات بصيغة خَرُّوا وهي، قوله تعالى: "وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنْ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" (يوسف: 100).

وقوله تعالى: "أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً" (مريم: 58).

وقوله تعالى: "إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ" (السجدة: 15).

ومرة بصيغة تَخِرُّ وهي قوله تعالى: "تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً" (مريم: 90).

ومرة بصيغة يَخِرُّوا وهي قوله تعالى: "وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً" (الفرقان: 73).

وأما بالنسبة للآيتين الثامنة والسبعين والتاسعة والسبعين، فإنهما ينتهيان بفاصلة الدال المفتوحة المسبوقة بواو المد: الأولى في كلمة "مشهودا" من قوله تعالى: "أَقِمْ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً" (الإسراء: 78) ، والثانية في " محمودا" من قوله تعالى : "وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً " (الإسراء: 79).

وبالاستقراء الدقيق لهذه الفاصلة في القرآن الكريم عموماً، يظهر أنَّه لا وجود لها في نصوص سور الوحي المدنيّ اللهم إلا مرة واحدة في سورة النساء، وذلك في كلمة (صدودا) من قوله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً" (النساء: 61)، على حين أنها وردت ثلاث مرات في نصوص ثلاث آيات من سورة تنتمي للوحي المكي هي "ممدودا"، "شهودا"، "صعودا" (المدثر: 12 ، 13 ، 17)، ما يجعل الباحث يحكم بمكيتها أسلوبيّاً على الأقل.

وأما الآية الثانية والثلاثون، وهي قوله تعالى: "وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً" (الإسراء: 32)، فقد اشتملت على صيغة النهي بالفعل المضارع "تَقْرَب" المسند لواو الجماعة والمسبوق بلا الطلبية الناهية (لا تقربوا) والتي وردت بهذه اللفظة (تقربوا) وبهذه الصيغة ثلاث مرات غير الإسراء: مرة في سورة النساء المدنية، وهي قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً" (النساء: 43).

والثانية والثالثة في آيتين مدنيتين داخل سورة مكية هي سورة الأنعام[26]، وهما قوله تعالى: "قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (الأنعام: 151) ، وقوله تعالى: "وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" (الأنعام: 152).

وهو ما يدفع الباحث للقول بترجيح مدنية هذه الآية الكريمة أسلوبياً، بما

توفر لها من اتفاق وسمات الأساليب المدنية في غيرها من الآيات المدنية كما تبين في آية النساء، وآيتي الأنعام، في حين خلت منها الآيات المكية. كما ظهر للباحث – بعد التمعن وطول النظر في توسطها بين الآيات المكية– سبب موقعها هذا، وهو مناسبتها للسياق المعنوي للآيات التي وقعت بينها فقد كان مجيئها بين آيتين تتحدثان عن النهي عن القتل الأولى قتل الأولاد خشية الفقر والثانية قتل النفس التي حرَّمَها الله تعالى، وهي تتحدث عن تحريم الزنا الذي يُعتبرُ بمثابةِ قتلٍ خفيٍّ للذرية وإهدار لها بغير وجه حق شرعيّ، ولما يترتَّبُ عليه من اختلاط الأنساب ومن انقطاع للأرحام ولما يتأثر به اللقيط في حياته الاجتماعية إذ يتمنى الموت في بعض الأحيان.

وأما الآية الثالثة والثلاثون وهي قوله تعالى: "وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً" (الإسراء: 33) فاشتملت على الفعل (قتل) بصيغة الفعل الماضي المبني للمجهول، الذي لم يرد –إذا استثنينا الإسراء– في الوحي المدني اللهم إلا مرة واحدة في سورة آل عمران المدنية في قوله تعالى: " وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ" (آل عمران: 144)، بينما ورد خمس مرات في الوحي المكي، وهي على الترتيب:

قوله تعالى: "قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ" (الذاريات: 10).

و قوله تعالى: "فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ" (المدثر: 19).

و قوله تعالى: "ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ" (المدثر: 20).

و قوله تعالى: "قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ" (عبس: 17).

و قوله تعالى: "قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ" (البروج: 4).

على أن آية آل عمران الكريمة عاد نائب الفاعل فيها على النبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، بينما لم يعد عليه صلى الله عليه وسلم في أي من الخمس المكية؛ ما يدفع الباحث بالحكم بمكية هذه الآية وانتمائها لمكي الوحي دون مَدَنِيِّهْ.

وكذلك فإن هذه الآية اشتملت على فعل من مادة "سرف" بصيغة المضارع " يُسْرِف " وهذه المادة لم ترد بالصيغة الفعلية في الوحي المدني على الإطلاق بينما نجدها في خمس نصوص من الوحي المكي غير الإسراء، وهي:

قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى" (طه: 127).

وقوله تعالى: "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" (الزمر: 53).

وقوله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" (الأنعام: 141).

وقوله تعالى: "يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا

تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" (الأعراف: 31).
وقوله تعالى : "وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً" (الفرقان: 67).

وهذا مما يُرْجِي حجة الباحث بحسم انتماء هذه الآية إلى الوحي المكيّ، في وقت لم يحسمها أحد من المفسرين من قبل. وأما الصيغة الاسمية لمادة "سرف" فوردت زهاء من سبع عشرة مرة: ثلاث منها في مدني الوحي[27]، والباقي في مكيه.

وأما بالنسبة لآية أخرى وهي قوله تعالى: "وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً" (الإسراء: 26) فلا يبدو للباحث أن فيها ملمحاً أسلوبياً يُرَجِّحُ تمييزها إلى مكي الوحي أو مدنيه، فكلمة القربى مثلاً وردت خمس عشرة مرَّة في التنزيل الحكيم – خارج الإسراء – خمساً في المكي[28]، وعشراً في المدني[29].

وكذلك مادة التبذير لم ترد البتة في القرآن الكريم سوى ما جاء في هذه الآية الكريمة والتي تليها "إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً" (الإسراء: 27).

وبعد البحث المُضْنِي في مضمون هذه الآية الكريمة، انتهى الباحث للجزم بمدنيتها – في حدود علمه– لما رُوِيَ من سبب نزولها، فقد أخرج الطبراني وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما نزلت "وآت ذا القربى حقه" دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة فأعطاها فدَك"[30]وفدك هذه كما يقول العلامة ابن منظور قرية من خيبر، أو هي ناحية بالحجاز فيها عينٌ ونخلٌ أفاءها الله على نبيه صلى الله عليه وسلم[31]، كما ذكر أنه صلى الله عليه وسلم جعلها في حياته لابنته فاطمة وولدها.

ولا يخفى أن فتح خيبر والفتوح عموماً إنما كانت في العهد المدني بعد الهجرة، وكذلك ما أفاء الله تعالى على رسوله من أهل القرى إنما كان ذلك في المدينة بعد الهجرة، وهو ما دلت عليه آيات سورة الحشر المدنية[32].

وأما الآية الستون وهي قوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً" (الإسراء: 60) فيرجح الباحث مكيتها بدليلين، أحدهما: أسلوبي، والآخر: موضوعي متعلق بسبب نزولها.

أما الأسلوبي ففي احتوائها على شجرة الزقوم بلفظ " الشجرة الملعونة " التي لم تُذكر قط في الوحي المدني بينما وردت بلفظ الزقوم ثلاث مرات في الوحي المكي وهي على الترتيب:
قوله تعالى: "أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ" (الصافات: 62).
وقوله تعالى: "إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (*) طَعَامُ الأَثِيمِ" (الدخان: 43–44).
وقوله تعالى: "لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ" (الواقعة : 52).

وأما الموضوعي فيوضحه سبب نزول الآية فقد أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: لما ذكر الله الزقوم خوَّفَ به هذا الحي من قريش قال أبو جهل هل تدرون ما هذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد قالوا لا قال الثريد بالزبد أما لئن أمكننا منها لنَزْقُمَنَّهَا زقماً فأنزل الله الآية(33).

وكذلك ما أخرجه أبو يعلى عن أم هانئ أنه صلى الله عليه وسلم لما أُسريَ به أصبح يحدث نفراً من قريش يستهزئون به فطلبوا منه آية فوصف لهم بيت المقدس وذكر لهم قصة

العير فقال الوليد بن المغيرة هذا ساحر فأنزل الله: "وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس"(34).

وغنيٌّ عن القول أن تخويف رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش وقول أبي جهل وعناده كان في مكة، كما أن حادثة الإسراء به صلى الله عليه وسلم من بيت أم هانئ كان بمكة دون أدنى شك إلى آخر ما كان من تجلية الله عز وجل للقدس إليه ووصفها ووصف العير الذي كان يقدم قافلة قريش، كل ذلك كان قبل مهاجر النبي، في محاولة منه لإقناعهم.

وأما بالنسبة لقوله تعالى : "وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً" (الإسراء: 80)، فأول ما يلفت الانتباه فيها اجتماع الأمر في فعل القول "قُلْ" مع النداء محذوف الأداة "ربِّ" على صيغة "قل ربِّ" وهي الصيغة نفسها المترددة في الوحي المكي خمس مرات هي:

قوله تعالى: "فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً"(طه: 114).

وقوله تعالى: "وَقُلْ رَبِّ أَنزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ" (المؤمنون: 29).

وقوله تعالى: "قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ" (المؤمنون: 93).

وقوله تعالى: "وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ" (المؤمنون: 97).

وقوله تعالى : " وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ"(المؤمنون: 118).

ومرة بإضافة ربِّ إلى ضمير الخطاب وميم الجمع في آية مكية هي قوله تعالى: "فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ" (الأنعام: 147).

ومرتين بإضافة ربِّ إلى ياء المتكلم في آيتين مكيتين أيضاً، وهما: قوله تعالى: "سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِراً وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً" (الكهف: 22). وقوله تعالى : "إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ" (القصص: 85).

وعبثاً نُحاول البحث عن اجتماع هاتين الصيغتين الطلبيتين في الوحي المدني على صيغة "قل رب"؛ ما يدفع الباحث لترجيح مكية هذه الآية الكريمة.

كذلك فإن هذه الآية احتوت على اسم المفعول "مُخْرَج" من الرباعي (أخرج) والذي خلت منه –اسم المفعول من أخرج– نصوص الوحي المدني بالمطلق، بينما تردد في الوحي المكي أربع مرات بصيغة الجمع "مُخْرَجُون" ما يُعَضِّدُ ترجيح الباحث السابق بمكية الآية. والآيات الأربع هي:

قوله تعالى: "لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ" (الحجر: 48).

وقوله تعالى: "أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ" (المؤمنون: 35).

وقوله تعالى: "قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنْ الْمُخْرَجِينَ" (الشعراء: 167).

وقوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ" (النمل: 67).

وكذلك فقد أورد الإمام السيوطي بسنده عن ابن عباس قوله: "كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم أُمِرَ بالهجرة فنزلت عليه "وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً" وهذا صريح في أن الآية مكية[35]. وهذا ما يحسم القول بمكية هذه الآية الكريمة.

وأما بالنسبة إلى قوله تعالى: "وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنْ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً" (الإسراء: 76) المشتمل على صيغة فعلية من مادة (لَبِثَ) وهي "يلبثون" والواقع أن الصيغ الفعلية من هذه المادة وردت في المصحف الشريف تسعاً وعشرين مرة، ستاً وعشرين في الوحي المكي[36]وثلاث فقط في آية واحدة من سورة البقرة المدنية[37]، ما يرجح مكيتها لدى الباحث، سيما أنها لم ترد ولا مرة في أي من السور المدنية التي تحتوي على آيات مكية، أما سورة البقرة فلا خلاف في مدنيتها.

وأما بالنسبة إلى آخر ثلاث آيات التي قيل بمدنيتها وهي قوله تعالى: "وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً (*) وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً (*) إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً" (الإسراء: 73،74،75)، فيورد الإمام السيوطي رواية يشهد بجودة إسنادها وبأن لها شواهد، وهي ما أخرجه ابن مردويه وابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن عباس –رضي الله عنهم–، قال: خرج أمية بن خلف وأبو جهل بن هشام ورجال من قريش فأتَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد تعال تمسح بآلهتنا، وندخل معك في دينك، وكان يحب إسلام قومه فَرَقَّ لهم فأنزل الله "وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك" إلى "نصيرا"[38].

فهذه المفاوضات القرشية مع النبي محمد وأمثالها التي تبين حرص النبي على إسلام أشرافهم وزعمائهم إنما كانت أثناء دعوته صلى الله عليه وسلم في مكة قبل الهجرة، ومثل هذه الحادثة تماما حادثة عبد الله ابن أم مكتوم الساعي إلى النبي ليتعلم منه والتي نصت عليها سورة عبس المكية أيضاً بلا خلاف، يقول تعالى:

"وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (*) وَهُوَ يَخْشَى (*) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى يُدفع" (عبس: 8–10) ما يدفع الباحث بشكل واضح للقول بحسم مكية هذه الآيات.

ومما يمكن الاستناد إليه في حسم مكية هذه الآيات أيضا، اشتمالها على الفعل المضارع (تركن) والواقع أن مادة (ركن) لم ترد في غير هذا الموضع من الإسراء إلا في ثلاثة مواضع
كلها مكية، وهي على الترتيب:

صيغة الفعل المسند لواو الجماعة في قوله تعالى: "وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ" (هود: 113).

صيغة الاسمية في وقوله تعالى: "قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ" (هود: 80).

وقوله تعالى: "فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ" (الذاريات: 39).

أما الوحي المدني فلا وجود لهذه المادة أبدا في أي من نصوصه؛ ما يُعَضِّدُ القولَ بمكيتها.

ومما يمكن الاستناد إليه في حسم مكيتها أيضا، مادة (ذوقَ)، التي جاءت بصيغة الثلاثي المتعدي بهمزة التعدية والمسند لنا الفاعلين في "أذقناك" ونفس الصيغة وردت في ستة مواضع تنتمي لمكي الوحي هي:

أولاً: "صيغة أذقنا " قوله تعالى: "وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ" (يونس: 21).

وقوله تعالى: "وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ" (هود: 9).

وقوله تعالى: "وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ" (الروم: 36).

وقوله تعالى: "فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ" (الشورى: 48).

وثانيًا: بصيغة "أذقناه" في قوله تعالى: "وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ" (هود: 10).

وقوله تعالى: "وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ" (فصلت: 50).

كما ورد هذا الفعل دون الإسناد إلى نا الفاعلين، بل متصلا بضمير الغائبة "ها" أو ضمير الغائبين "هم" "أذقناهم" في ثلاثة مواضع كلها مكية هي:

قوله تعالى: "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ" (النحل: 112).

وقوله تعالى: "وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ

مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ" (الروم: 33).

وقوله تعالى: "وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ" (الزمر: 26).

وبعدُ، فيُلخِّصُ الباحث بعض النتائج التي توصل إليها على سبيل النقاط:

1-أن اعتماد المنهج الأسلوبي الدقيق طريق جديد موثوق في الحكم بإثبات مكية أو مدنية آية أو سورة من سور القرآن المكية.

2-أن الآية السابعة بعد المائة هي آية مكية؛ لاحتوائها على سجدة، ولتضمنها الفعل " يخرون " من مادة (خرَّ) التي خلا منها القرآن المدنيّ، وورد في المكي زهاء من عشر مرات.

3-أنَّه يترجَّحُ مكيةُ الآيتين الثامنة والسبعين والتاسعة والسبعين؛ لأنهما ينتهيان بفاصلة الدال المفتوحة المسبوقة بواو المد (مشهودا ، محمودا) والتي ترددت ثلاث مرات في الوحي المكي هي " ممدودا "، " شهودا "، " صعودا "، ومرة واحدة في المدني هي " صدودا ".

4-القول بترجيح انتماء الآية الثانية والثلاثين للوحي المدني؛ لاشتمالها على صيغة النهي بالفعل المضارع " تَقْرَب " المسند لواو الجماعة والمسبوق بلا الطلبية التي للنهي (لا تقربوا) والتي جاءت بهذه الصيغة ثلاث مرات – غير الإسراء – في مدني الوحي، واحدة في سورة النساء، وثنتان في الآيتين المدنيتين اللتين في سورة الأنعام (151،152). وإنما كان مُسَوِّغُ مجيئها وسط آيات مكية هو مناسبتها للسياق المعنوي فقد كان مجيئها بين آيتين تتحدثان عن النهي عن القتل الأولى قتل الأولاد خشية الفقر والثانية قتل النفس التي حرَّمَها الله تعالى، وهي تتحدث عن تحريم الزنا الذي هو قتل خفيٌّ للذرية وإهدار لها بغير وجه حق شرعيّ، ولما يترتَّبُ عليه من اختلاط الأنساب ومن انقطاع للأرحام ولما يتأثر به اللقيط في حياته الاجتماعية إذ يتمنى الموت في بعض الأحيان.

5-القول بمكية الآية الثالثة والثلاثون؛ لاشتمالها على الفعل (قتل) بصيغة الفعل الماضي المبني للمجهول "قُتِلَ" الذي ورد مرة واحدة في الوحي المدني في سورة (آل عمران)، بينما ورد خمس مرات في المكي (الذاريات-المدثر2-عبس-البروج)، وكذلك فإن هذه الآية اشتملت على فعل من مادة "سرف" بصيغة المضارع " يُسْرِف " وهذه المادة لم ترد بالصيغة الفعلية في الوحي المدني على الإطلاق بينما نجدها خمس مرات في مكي الوحي.

6-أنَّ الآية السادسة والعشرون آيةٌ مكية؛ لما رُوِيَ من سبب نزولها في شيء من فيء خيبر، وإنما كان ذلك بعد إجلاء النبي لهم في العهد المدنيَّ، كما وردت إشارة للفيء في سورة الحشر المكية بلا خلاف.

7-وأما الآية الستون فهي مكية؛ لاحتوائها على شجرة الزقوم بلفظ " الشجرة الملعونة " التي لم تُذكر قط في الوحي المدني بينما وردت بلفظ الزقوم ثلاث مرات في الوحي المكي، وكذلك لما رُوِيَ من سبب نزولها في تخويف النبي لكفار مكة بالزقوم وما كان من عنادهم، وهذا ما كان في مكة طبعاً.

8- وأما الآية الثمانون فهي أيضاً مكية؛ لاجتماع صيغتين طلبيتين معاً فيها هما الأمر والنداء في " قُل رَبِّ " كما اجتمعا في الوحي المكي خمس مرات دون المدني، كذلك اشتملت على اسم مفعول " مُخْرَج " من فعل رباعي هو " أخرج " والذي خلت منه آيات الوحي المدني بينما تردد في الوحي المكي أربع مرات، وكذلك ما رُوي من سبب نزولها قبيل خروج النبي من مكة مهاجراً إلى المدينة.

9- وأما الآيات الثالثة والسبعون والرابعة والسبعون والخامسة والسبعون فهي آيات مكية؛ لما كان من سبب نزولها في قضية مفاوضة كفار مكة للنبي محمد ومحاولة مساومته وهذا بعض ما كان يحدث قبل هجرته وأثناء وجوده صلى الله عليه وسلم بمكة، وكذلك احتوائها على الفعل " تركن " من مادة " رَكَنَ " التي لم ترد مطلقاً في الوحي المدني بينما وردت ثلاث مرات في الوحي المكي، وكذلك جاءت فيها لفظة " أذقناك " المترددة ست مرات في الوحي المكي، بينما تخلو منه آيات الوحي المدنيّ.

10- أن سورة الإسراء المكية تحتوي على ثلاثة عشرة آية مدنية –حسب ما نقله المفسرون – أثبت التحليل الأسلوبي والمضموني مكيتها كلها باستثناء آية واحدة هي الآية الثانية والثلاثين.

والحمد لله ربِّ العالمين،،،

هوامش البحث:

(1) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامعُ لأحكام القرآن والمبيِّنُ لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1427 هـ، 2006م، 5/13.
(2) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، 285/3.
(3) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ ، 2001م، 434/3.
(4) محمد بن يوسف (الشهير بأبي حيان الأندلسي)، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض وغيرهما، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1413 هـ، 1993م، 5/6.
(5) فخر الدين محمد الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1401هـ، 181 م، 146/20.
(6) اللباب أبو حفص الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م، 193/12.
(7) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وفتحي حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، 1418هـ، 1998م، 491/3.
(8) محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، 6/15.
(9) انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، الطبعة التاسعة،1400هـ ، 1980م، 2208/4 ، ومحمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني، القاهرة، الطبعة التاسعة، 150/2.
(10) انظر إبراهيم عوض، سورة الرعد دراسة أسلوبية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1420هـ ، 2000م، وسورة المائدة دراسة أسلوبية فقهية مقارنة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1420هـ ، 2000م، ص7–17، وسورة طه دراسة لغوية أسلوبية مقارنة، دن، الطائف، 1413هـ، 1993م، ص5–10.
(11) يود الباحث أن ينبه على أمرين مُهِمَّين قبل البدء بالتحليل، الأول: اعتماده على المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي ط1 (القاهرة – دار الحديث – 1417هـ ، 1996م) في استقصاء الألفاظ والتراكيب والصيغ وعدِّها وحصرها. والثاني: أن الباحث اعتمد سورة الرعد كسورة مكية اعتمادا على ما أثبته الأستاذ الدكتور إبراهيم عوض في دراسته المستفضية عنها بحيث انتهى إلى القول بحسم مكيتها.
(12) انظر محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1417هـ ، 1996م، ص652.
(13) وهي على الترتيب : يونس : 13 ، هود : 116 ، طه : 51،128 ، القصص : 43،78 ، السجدة : 26، يس : 31 ، الأحقاف : 17 .
(14) وهي على الترتيب : المؤمنون : 42 ، الفرقان : 38 ، القصص : 45 .
(15) هي على الترتيب من سورة الإسراء الآيات : 8 ، 29 ، 62 ، 69 ، 81 ،97.
(16) هي على الترتيب : الأعراف : 143 ، النحل : 26 ، الحج : 31 ، سبأ : 14 ، ص : 24 ،
(17) هي على الترتيب : يوسف : 100 ، مريم : 58 ، السجدة : 15 .
(18) انظر إبراهيم عوض، سورة الرعد دراسة أسلوبية ص43.

(19) انظر: محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، 164/1، صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، 1977م، ص181، عبد السميع العرابيد، دراسات في علوم القرآن الكريم، مكتبة آفاق، غزة، الطبعة الأولى، 1431هـ،2010م، ص 148.
(20) انظر مثلا: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن ص58-59، ومحمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن 164/1.
(21) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص5.
(22) انظر أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج6 ، ص5.
(23) انظر ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج3، ص434.
(24) انظر الشوكاني، فتح القدير، ج3، ص285.
(25) انظر مثلاً: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، 164/1، وصبحي الصالح، ومباحث في علوم القرآن ص181.
(26) قال أغلب المفسرين بمدنية هاتين الآيتين داخل سورة الأنعام المكية، منهم: الزمخشري، والقرطبي، والشوكاني، وأبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي، وأبو السعود محمد بن محمد العَمادي: انظر الزمخشري، الكشاف، 320/2، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 310/8، و الشوكاني، فتح القدير، 137/2، و أبو حفص الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، 3/8، وتفسير أبي السعود 104/3، وقال ابن عطية الأندلسي بمكية الآية 151فقط، انظر ابن عطية، المحرر الوجيز، 265/2.
(27) وهذه المرات الثلاث على الترتيب هي: آل عمران: 147 ، النساء: 6، المائدة: 32.
(28) وهي على الترتيب: الأنعام: 152، والنحل: 90 ، والروم: 38، وفاطر:18، والشورى: 23.
(29) وهي على الترتيب: سورة البقرة: 177،83 ، النساء: 36،36،8 ، المائدة: 106، الأنفال: 41 ، التوبة: 113 ، النور : 22 ، الحشر: 7 .
(30) السيوطي، أسباب النزول (لباب النقول في أسباب النزول)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى 1422هـ ، 2002م، ص161.
(31) انظر ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، 203/10.
(32) انظر مثلاً ابن عطية، المحرر الوجيز5/ 283، الزمخشري، والكشاف، 73/6.
(33) السيوطي أسباب النزول، ص 162.
(34) السابق ص 162.
(35) انظر السابق ص 164.
(36) هي هود: 69 ، يونس: 45، يوسف: 42 ، العنكبوت: 14 ، الصافات: 144 ، يونس: 16، طه: 103،40، 104 ، الشعراء: 18، الكهف: 19،19 ، 19، 12، 25، 26 ، المؤمنون: 114،113،112، الروم: 55، 56 ، الأحزاب: 14، سبأ: 14 ، الأحقاف: 35 ، النبأ: 23 ، النازعات: 46.
(37) هي الآية 259.
(38) انظر السيوطي أسباب النزول، ص 163.

مراجع البحث:

1. إبراهيم عوض، سورة الرعد دراسة أسلوبية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1420هـ ، 2000م.
2. إبراهيم عوض، سورة المائدة دراسة أسلوبية فقهية مقارنة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1420هـ ، 2000م.
3. إبراهيم عوض، سورة طه دراسة لغوية أسلوبية مقارنة، دن، الطائف، 1413هـ، 1993م.
4. ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ ، 2001م.
5. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دت.
6. أبو حفص الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م.
7. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامعُ لأحكام القرآن والمبيِّنُ لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1427 هـ، 2006م.
8. أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهري، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، مراجعة: محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، 1430هـ،2009م.
9. جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وفتحي حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، 1418هـ، 1998م.
10. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، الطبعة التاسعة،1400هـ ، 1980م.
11. السيوطي، أسباب النزول (لباب النقول في أسباب النزول)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى 1422هـ ، 2002م.
12. صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، 1977م.
13. عبد السميع العرابيد، دراسات في علوم القرآن الكريم، مكتبة آفاق، غزة، الطبعة الأولى، 1431هـ،2010م.
14. فخر الدين محمد الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1401هـ، 181 م.
15. محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
16. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، دت.

17.محمد بن يوسف (الشهير بأبي حيان الأندلسي)، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض وغيرهما، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1413 هـ، 1993م.
18.محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، دت.
19.محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني، القاهرة، الطبعة التاسعة، دت.
20.محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1417هـ ، 1996م.
21.مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، الدار السعودية للنشر، الرياض، دت.